العجوز

مسرحية في تسع موجات

عادل إبراهيم علي

الموجة الصّفر:

سجّاد تركيّ مفروش على مقدّمة المسرح ووسطه، ينتصب كرسيّ في الوسط، كرسيّ وثير تبدو عليه مظاهر الفخامة والأناقة، وكأنّه كرسيّ ملكي. إلى جانبه منضدة صغيرة موشّحة بزخارف تركيّة كتحفة عتيقة من زمن البايات.. عليها علبة معدنيّة للسجائر.

عجوز تجاوز الستين، يجلس على الكرسيّ في وقار، جلسة مهيبة تليق بإقطاعيّ، وقد زيّنته بذلة كأنّها زيّ رسمي للبايات- توحي بذلك دون أن تطابقه- لونها أسود، وعليها نياشين توحي بالفخامة والرّفعة.. يجلس هادئا، وبيده عكّاز مذهّب الرأس، ذلك الرأس الذي يشبه رأس صقر..

الحركة على المسرح منعدمة للحظات يمضيها العجوز في الشرود متأمّلا، بينما تنبعث موسيقى يتخلّلها صوت الرياح ووقع المطر من حين لآخر..

يظهر رجل من يمين آخر المسرح، تبدو عليه ملامح الشباب والوسامة، بذلته سوداء فخمة معاصرة، يضع شالا أحمر على رقبته. يقف ناظرا إلى العجوز ثم يتقدّم خارجا من اليسار في خطّ مستقيم.

لحظة قصيرة جدّا من انعدام الحركة على المسرح، ثمّ تظهر فتاة شابّة في الخامسة والعشرين من عمرها، تبدو عليها ملامح الحسن والرفعة. لكن تبدو قويّة وشديدة كالرّجال مع ذلك.. تظهر من يسار آخر المسرح، تقف ناظرة بحياديّة نحو العجوز، ثم تتقدّم خارجة من اليمين في خطّ مستقيم.

لحظة قصيرة جدّا، ثم تظهر امرأة من وسط آخر المسرح، حيث ينتصب باب خشبي جذاب ومتين.. المرأة في الأربعينات من عمرها، ترتدي ميدعة الخادمات ولباسهنّ، بيدها مكنسة.. تقف صامتة لحظة، ناظرة إلى العجوز نظرة بلهاء يصاحبها غضب خفيف. ثمّ تتقدّم نحوه، بينما تخفت الموسيقى تدريجيّا..

المرأة: ألف مرّة حذّرتك من السجائر (تتلهى بالكنس) ألف مرّة أخبرتك أنّها قاتلة.. لماذا تدمّر نفسك بلا سبب؟ (تواصل كنس الأرضيّة بلامبالاة واضحة) لماذا تقتل نفسك؟

العجوز: أن أقتل نفسي خير من أن تقتلني الأحداث.. (يدير وجهه عنها)

المرأة: لا فائدة من تحذيرك، أنت عنيد. إنّك تتمادى في تدمير نفسك.. لن أهتمّ لك ما دمت لا تهتمّ لنفسك

العجوز: نعم نعم، الأفضل ألّا تبالين بي مطلقا، فهذا يفيدك أكثر.. عندما تقضي عليّ هذه السجائر، سوف يكون تحت تصرّفك ثروة هائلة.. صحيح أنّني لن أورثك مالا لكن كما تعلمين فالأرض لا تقدّر بمال.. وستجدين أمامك طابورا طويلا من الرّجال.. وأيّ رجال! لهم من الوسامة والقوّة ما يغنيك عن هذه الحياة البائسة وعن كلّ سنوات العمر الضائعة.. ولا تنسي الثقافة!!

المرأة: يبدو أنّك قد خرفت، بل مؤكّد أنّك خرفت. طابور من الرجال بعد الأربعين! عجوز بائس.. **(تخرج غاضبة من اليسار)**

العجوز: ما بالها؟ لا تعجبها الثروة! على كلّ يجب أن تعرف أنّ الأرض لا تقدّر بثمن.. **(تتغيّر ملامحه نحو الانزعاج، ويغيب مكتئبا بفكره لحظة ثمّ يدخل الرجل الأنيق، يتقدّم خطوات قليلة ثم يتوقّف. ينظر نحو العجوز ببرود، ثمّ بجديّة يتكلّم)**

رجل البذلة: الأوضاع سيّئة!

العجوز: (ببرود) مؤسف

رجل البذلة: الفوضى تجتاح العالم

العجوز: (بنفس البرود) مالي والعالم

رجل البذلة: باريس تجتاحها الفوضى

العجوز: مالي وباريس

رجل البذلة: وكذلك لندن، لندن تجتاحها الفوضى

العجوز: مالي ولندن

رجل البذلة: اسطنبول هي الأخرى تجتاحها الفوضى

العجوز: (منتبها كمن سمع خبرا مهمّا) اسطنبول؟ (ثم عائدا إلى بروده) مالي واسطنبول

رجل البذلة: لكن واشنطن تنام هادئة

العجوز: مالي وواشنطن؟ أنا أيضا أنام هادئا، لولا هذا السّعال الكريه (يسعل بحدّة)

رجل البذلة: (بجديّة أكبر) عليك أن تتصرّف أيّها السيّد، الأوضاع لا ترضيك

العجوز: (يلتفت ناحية الرجل ببرود، ثم ينقلب إلى الحدّة فجأة كالملسوع، ويهبّ واقفا) ألف مرّة قلت لا ترتدي هذه البذلة السوداء، بل ارتدي بذلة حمراء.. حمراء.. (ثم بهدوء) أنا لا أحبّ السّواد (يخرج من اليسار)

(الرجل الأنيق يتقدّم ببطء نحو الكرسي، يجلس في تردّد، يتناول سيجارة من العلبة المعدنية بتردّد ثم ينقلب إلى الزهو وهو يديرها بين أصابعه مبتسما بخبث ومتفرّسا بحدة في الجمهور، متمثّلا زهو العجوز دون أن يشعل السيجارة. يواصل لعبه ويبقى على شروده، في ما تتلاشى الإضاءة ببطء)

الموجة الأولى:

نفس المنظر، العجوز جالس على كرسيّه الوثير شاردا، تظهر المرأة من الوسط كانسة الفضاء، ثم تتقدّم لتكنس حول العجوز، يكون إيقاع حركتها بطيئا ثم يتّخذ مسارا تصاعديّا، العجوز لا يتأثر بإيقاعها بينما تخرج هي من اليسار بنفس الإيقاع السريع..)

العجوز: الواقع أنّ العالم سيّء، لكني مضطرّ إلى التعلّق بحياتي بشغف حتى النهاية.. برغم جميع المصائب والمصاعب.. العالم سيّء.. أيّام الحرب، كانت أيّاما عصيبة.. عصيبة بدرجة قاسية! لكني أذكر أنّي كنت أيامها سعيدا!!

الحرب تضفي على حياتنا حيويّة.. أمّا حياتي اليوم، فيا للسكون الرهيب الذي يسكنها..

(تدخل الفتاة من اليمين، وتتقدّم سريعا نحو العجوز. ينتبه العجوز فينهض بانزعاج خفيف، ويقف وراء الكرسي. الفتاة تجلس مكانه، بينما يخرج هو مشطا من جيبه، ويمشّط شعر ابنته في برود وحياديّة)

الفتاة الشابة: (دون أن تعير فعله أهميّة) إنّهم يريدون تحطيمنا يا أبي! يستغلّون طيبتك، ليمارسوا إجرامهم.. هؤلاء هم الأشرار

العجوز: (لا مباليا) أمشّط شعرك كبنيّة صغيرة!

الفتاة الشابة: هؤلاء أنفسهم كانوا صغارا في التفكير والطموح.. كانوا يرضون بأجورهم الصغيرة ويستقبلونها بفرح، والآن يريدون حقوقا عمّاليّة

العجوز: (بنفس اللهجة) لم أكن مجرّد أب، كنت لك أمّا أيضا. إذ توفيت أمّك وأنت صغيرة وأخذت على عاتقي تربيتك.. تذكرين يا ابنتي كيف كنت أصحبك إلى المدرسة، وكيف كنت أعدّ أغراضك، وألبسك ثيابك.. تذكرين؟!

الفتاة الشابة: (بحدّة) إنّهم لا يذكرون أبدا ما قدّمناه من أجلهم.. لا يذكرون إحساننا أبدا.. ألم نساعدهم في كلّ صعوبات حياتهم؟ أنت نفسك كنت تزورهم وتنفق عليهم بغير حساب، والآن..

العجوز: والآن ها أنت يا بنيتي الجميلة امرأة راشدة، تديرين عملي باقتدار.. أنا الذي سهرت من أجل أن تكوني ما أنت عليه الآن. فأنت فتاة جامعيّة لا ينقص شهادتك الأهميّة

الفتاة الشابة: هم لا يعيروننا أهميّة منذ أن ابتعدت عنهم، يعتقدون أنّنا ضعفاء من دونك.. لكننا سنريهم من نحن.. يتنكّرون لجميلنا حين تتنكّر الأرض لنا!!

العجوز: الأرض.. تلك الأرض التي كانت مصدر خيرنا.. هي كلّ الخير، عندما كان عطاؤها سخيّا كنّا..

الفتاة الشابة: كنّا نحبّهم، أمّا الآن فلا نحبّهم. لأنّهم انتهازيّون.. انتهازيّون فحسب

(تقف غاضبة، وتخرج من اليسار. العجوز ببرود يعيد المشط إلى جيبه، يجلس على الكرسيّ في هدوء.. لحظة من الشرود والصمت وانعدام الحركة ثم يظهر الرجل الأنيق من اليمين، يتقدّم سريعا نحو العجوز)

رجل البذلة: في الخارج تحدث أمور عظيمة، الأرض تبخل والعمال يضربون، لا عمل لمدة شهر

العجوز: شهر؟ (بهدوء) وفي هذا الشهر تتسارع الأحداث.. في شهر واحد تسقط دولة، في شهر واحد تقوم ثورة، ويجمع رجل وضيع ثروة.. في أقلّ من ذلك بكثير، يموت الناس، يجوع الناس، وهناك أناس آخرون يعيشون، يولدون من رحم الموت كما يقال..

رجل البذلة: سيدي، أنا لديّ حلّ

العجوز: حلّ؟! حلّ واحد لكلّ هذه المشاكل.. لجميع هذه الأمور المخيفة.. أمر صعب

رجل البذلة: لا يصعب على الرجال شيء، نتّصل بالبنك، نقترض، نطوّر مشروعنا، نقيم فلاحة على أسس سليمة..

العجوز: الأسس السليمة غائبة منذ البداية، ليس هناك أساس سليم لأيّ شيء.. والموت، الموت ذاته يمكن أن يفاجئنا في أيّة لحظة..

رجل البذلة: إن كنت تعني بالموت النهاية، فبإمكاننا جعلها سعيدة

العجوز: نهاية سعيدة، على غرار ما يقدّم في الأفلام العاطفيّة..

أنت في الحقيقة شخص مزعج

رجل البذلة: ولكن.. آه كم أودّ أن تفهمني

العجوز: أنا أفهم جميع الأمور، إني أفهمك جيّدا.. تعطّش الشباب للفعل مفهوم، لا يحتاج إلى دراية كلّنا نعلم..

رجل البذلة: ماذا تعلم يا سيدي؟

العجوز: أنا مثلا في شبابي كنت متحمّسا، وكنت مؤمنا بعديد الأشياء العظيمة التي تستهويك الآن؛ الحرية، العدالة، الطموح، الفعل.. إيه أشياء كثيرة، أشياء كثيرة. لكني في ما بعد فهمت جميع الأمور، وتراجع الإيمان إلى أن انعدم

رجل البذلة: لا تيأس يا سيدي، بل يجب أن تساعدني في إنقاذ نفسك.

العجوز: (يضحك) لطيف، ما تقوله لطيف، أساعدك في إنقاذ نفسي.. أمر طريف حقّا. لا أدري إن كنت تسعى لإيهامي بذلك، أم أنّك تتوهم حقّا

رجل البذلة: سيدي يجب أن تفهمني أرجوك

العجوز: أخبرتك أني أفهم جميع الأمور.. لا داعي لإزعاجي مطلقا، عندما يعود ولدي سيضع حدودا لكلّ شيء.. (ينتبه إلى لباسه، فينقلب إلى الغضب) ألف مرّة أخبرتك أني لا أحبّ السواد. فلترتدي بذلة حمراء، حمراء

(يقف ويغادر المسرح من جهة اليسار، يتقدّم رجل البذلة ويجلس مكان العجوز)

رجل البذلة: عجوز مقرف، لا يمكن إقناعه بشيء.. لكن ما عزمت عليه يجب أن يتمّ..

(تظهر الفتاة الشابة من جهة اليمين، تتوقف، تَصدُر من الخارج همهمات العمال ثم تعلو أصواتهم محتجّة ومطالبة، تخفت الأصوات، وتتقدّم الفتاة نحو الرجل الأنيق)

الفتاة: أنت تجلس هنا بينما تضطرب الأمور في الخارج؟

رجل البذلة: ماذا عليّ أن أفعل؟ تحدثت مع والدك بشأن القرض

الفتاة: القرض!!

رجل البذلة: علينا أن نقترض من البنك لنستطيع فعل شيء.. أنت تعلمين أنّه لا مال لدينا..

لقد أنفقنا جميع المال لكي نتوصّل إلى نتيجة

الفتاة: لكنّك لم تتوصّل إلى شيء

رجل البذلة: لأنّ المال لم يكن كافيا لفعل شيء.. ما الذي يمكن أن أصنعه بالمبالغ التافهة التي قدّمتموها إليّ؟

الفتاة: كانت كلّ ما لدينا.. ثم لا تنسى الظروف. لم يكن من السهل أن ننال مبلغا من العجوز مهما كان تافها دون تعب..

رجل البذلة: العجوز.. العجوز.. والدك رجل خرف

الفتاة: لا تشتمه.. هو بالفعل خرف لكن لا تشتمه

رجل البذلة: لماذا لا تتصرفين بدلا عنه في كلّ شيء

الفتاة: إني أفعل

رجل البذلة: إذن لنقدّم مستندات القرض

الفتاة: سأتحدّث مع العجوز

رجل البذلة: ستتحدثين؟! إنّه لا يفهم الأمور أبدا.. إنّه حتى لا يفهم ما يجري حوله.. أبعديه وتصرّفي أنت

الفتاة: قلت إني سأتحدّث.. أراك متحمّسا

رجل البذلة: متحمّس لأني أحبّكم

الفتاة: صحيح!

رجل البذلة: طبعا صحيح.. أنا ابن لهذا البيت ولتلك الأرض أيضا.. لن أبقى مكتوف الأيدي بينما كلّ شيء يضيع..

الفتاة: لن يضيع شيء. العجوز سيوافق. هو لا يرفض لي طلبا.. لنرى ما الذي يمكنك فعله هذه المرة.. (تخرج من اليسار)

رجل البذلة: بائسة مثل أبيها.. لا تفرق عنه في شيء سوى أنّها أكثر حماقة. لكني سأصل إلى ما أريد.. (يخرج من اليمين)

(الركح فارغ. المرأة الأربعينية تمرّ كانسة الرّواق الأخير للركح، يظهر العجوز من الوسط، يتقدّم ببطء، نسمع أصواتا كالصدى من الكواليس، أصوات مختلطة لبكاء طفلة وعواء ذئاب ونباح كلاب، تختفي الأصوات بمجرّد أن يجلس العجوز. العجوز يجلس في هدوء. يجيل بصره بصعوبة في المكان كالباحث عن شيء ما ثم يثبت.. لحظة من الصمت والسكون، ثم ينادي بغضب المرأة الأربعينية التي ما تزال بالرواق تغدو وتروح..)

العجوز: يا هوه! أنت أيّتها البلهاء.. أيّتها البغيضة.. إني أناديك ألا تسمعين؟

(المرأة تنتبه. تترك المكنسة وتتقدم نحو العجوز بهدوء، ثم ببرود تتكلّم)

المرأة: أنسيت اسمي؟ ألا تناديني باسمي؟

العجوز: (بسخرية) في الحقيقة لقد أنستني الأحداث والمشاغل اسمك.. ما اسمك يا صبيّة؟

المرأة: (باستهزاء) مشاغل! نادني بالخادمة.. قل أيّتها الخادمة التي أضاعت عمرها في خدمة أخيها.. تعالي لتعرفي أنّك والغريبة في مقام واحد.

العجوز: (متماديا في السخرية) معك حقّ.. لكني أرى في قولي البلهاء والبغيضة قد أدّيت حق الأخت التي أضاعت عمرها في خدمة أخيها.. (يضحك) تعتقدين أنّك تستجدين عطفي، فأقول مسكينة مسكينة ضحت من أجلي..

المرأة: لا أستجدي منك شيئا.. فيم أستطيع أن أخدمك

العجوز: لا تلعبي دور الضحيّة.. لا تلعبي دور البائسة.. يجب أن تُسقطي جميع أقنعتك في حضرتي. لأني أعرف من أنت وأنت تعرفين من أنا..

المرأة: (بلهجة ضعف) هل من حاجة أقضيها يا سيّدي؟

العجوز: (بغضب يكاد يذهب بصحته) أخبرتك أنّي لا أحبّ أن تلعبي أمامي دور الضحيّة أيتها الزانية

(ينخرط في سعال حاد، المرأة تتشنج، تصرخ، تغطي وجهها بيديها وتتسارع الدموع حارقة من عينيها. ترمق العجوز بنظرات توسّل ولوعة. نظرات لوم قاسية..

تغادر باتجاه الباب سريعا وتسمع قرقعة الباب إذ يغلق. العجوز ما يزال يسعل بحدّة. ثم يهدأ سعاله ويكفّ عنه. يعتدل في جلسته. وتتغير ملامح وجهه نحو الانزعاج..)

العجوز: (بأسف دون أن يتخلى عن بروده) أعتقد أني أسأت.. المسكينة، لقد جرحت شعورها.. (ثم بحدّة) لكنها أساءت أيضا، لم يكن من الجيّد أن تلعب دور الضحية أمامي.. أنا الذي انتشلتها من الشارع ومن الفضيحة.. لولاي لحصلت أمور كثيرة تغيّر مجرى حياتها وتؤدّي بها إلى الهلاك.. ومع ذلك تصرّ على أني سيّء..

(يعود إلى هدوئه) لكني أسأت. المسكينة لقد جرحت شعورها..

(يغيب بفكره لحظة. تظهر الفتاة من اليمين وتتقدم نحوه. تقف بجانبه. العجوز ينتبه. يقف بانزعاج خفيف، ويتّخذ مكانه وراء الكرسي. الفتاة تجلس مكانه. ترسل شعرها الطويل. العجوز مبتسما، يخرج مشطا ويرسله في شعر ابنته..)

العجوز: أمشّط شعرك كفتاة صغيرة

الفتاة: احك لي حكاية يا أبي أو غنّي لي أغنية تليق بطفلة

العجوز: الحكاية، الرواية ذات الفصول بلا نهاية. (ينخرط في الغناء) "يا بابا يا بابا شوف اش شريت.. شريت عروسة صغيرة حطيتها في البيت.." (ينفجر ضاحكا) ألم تُرددي آلاف المرات أنّك كبرت، وصرت امرأة بألف رجل؟ ما بالك الآن تعودين طفلة صغيرة وبلهاء (يلاعب شعرها ويداعب خدّها ثم يقول بمرح طفولي) أيّتها الشقيّة أيّتها الشقيّة..

الفتاة: (بدلال مصطنع) أريد أن أكون صغيرتك. أما تريد أن أكون صغيرتك؟

العجوز: (بارتياح ينبأ عن فرح) أنت دائما صغيرتي الحلوة..

الفتاة: (مازحة وملاعبة بلهجة أطفال) بابا، بابا، اشتري لي حلوى.. اشتري لي لعبة يا أبي..

العجوز: (يضحك وتشرق أساريره غبطة ثم بلهجة الملاعبة) سأشتري لك حلوى كثيرة

ولعبة جميلة.

الفتاة: (بغنج وانزعاج طفولي مصطنع) احك لي حكاية أو غني يا أبي..

العجوز: (مواصلا اللهو بشعرها الطويل) قد غنيتك أغنية، تعلمين أنّي لا أجيد الغناء ولا أحفظه

الفتاة: (بحماس طفلة) إذن حكاية، حكاية مشوقة يا أبي

العجوز: (بحماس) حسنا، فلتسمعي

(يخفي المشط ويتحرّك على الركح ببطء ويمعن في التفكير بشكل مضحك، ثم يتكلّم دون أن يتوقّف عن المشي)

كان في حديث الزمان وقريبا من الآن، رجل.. رجل عالي الهمّة بكدّه نال القمّة

(يضحك) بداية موفّقة ما كنت أقول؟

الفتاة: كنت تقول يا أبتي الطيب، عليّ القمة نال الهمة

العجوز: أحسنت، هو ذاك فعلا. ثم تعرّف سيدي عليّ الهمة نال القمة على فتاة مسنّة

الفتاة: فتاة مسنّة؟!

العجوز: (يضحك) عفوا كنت أعني فتاة جميلة قوامها رشيق ولباسها أنيق، عطرها فوّاح وكلام الغزل معها مباح

(يتوقّف ليرى ردّة فعل ابنته التي تشرد ثم تنتبه لرقابة والدها فتبدي اهتماما كاذبا)

العجوز: (بانزعاج خفيف) أرى أنّي لا أحسن سرد الحكايات..

الفتاة: كلا، كلا.. لا تقل هذا يا أبي. أنت أمهر سارد حكايات سمعت له

(ثم بانزعاج طفولي مصطنع) لماذا قطعت سرد الحكاية.. لقد كنت منشدّة إليها..

العجوز: (مسرورا بسذاجة) أحقّا؟ أليست سخيفة هي؟

الفتاة: إطلاقا أيّها الرجل الطيّب (تقف وتضع رأسها على صدره متصنعة الحب) كم أحبّك يا من كنت لي دوما (بلهجة عاطفية مصطنعة يخالطها نفس استهزاء) أمًّا وأبًا

العجوز: (بسرور) أنا أيضا أحبّك يا أجمل زهرة أقطفها في خريف عمري..

(ثم بلهجة آمرة) لكن عودي لتسمعي الحكاية

الفتاة: (تعود بلهو طفلة إلى الجلوس) ها أنا قد عدت لأسمع

العجوز: وها أنا أكمل. أين وصلنا؟

الفتاة: (بلهو طفلة) وصلنا.. وصلنا.. آه! تذكّرت، الرجل عليّ الهمّة يتعرّف إلى فتاة جميلة قوامها ممشوق ولباسها شقشوق..

العجوز: (يضحك) شقشوق.. أمر طريف.. المهم (بجدية مصطنعة) يجب أن نتقدّم في الحكاية

الفتاة: (تومئ برأسها بلهو ينمّ عن سخريّة)

العجوز: المهم.. تزوّج عليّ الهمّة فتاته الجميلة

الفتاة: ذات القوام الممشوق واللباس الشقشوق

العجوز: شقشوق.. مرة أخرى شقشوق! ما أظرفك.. ما أظرفك..

الفتاة: هيا يا عجوزي أكمل الحكاية

العجوز: وبعد الزواج.. وبعد الأيام السعيدة

الفتاة: جاءت الأيام التعيسة

العجوز: كلا.. كلا.. بل أنجبا فتاة صغيرة جميلة

الفتاة: (بلهفة طفلة مصطنعة) وبعد؟ وبعد؟

العجوز: آه! الأحداث الحزينة، ماتت الأم

الفتاة: المسكينة. الأكيد أنّها عانت كثيرا

العجوز: كلا.. كلا.. بل الرجل الذي أحب هو الذي عانى، هو نفسه الذي ضحى (بلهجة حزن) كان أمّا وأبا في نفس الوقت

الفتاة: (بلهجة حزن مصطنعة) يا للمسكين.. وماذا جرى بعد ذلك يا طيّب

العجوز: (بفرح) كبرت الصبيّة وصارت شابة جامعيّة لا ينقص شهادتها الأهميّة..

(الفتاة تتظاهر بالحزن المعبّر عن الخيبة)

العجوز: مالك.. (يحني رأسه نحوها بحنو) ألا تعجبك الحكاية؟

الفتاة: وددت أن أجد فيها غولا أو ذئبا

العجوز: (بمرح طفولي قريب من السذاجة) غول! (يضحك) الغول كذبة أو هو حقيقة.. حذف من الحكاية لأنّه يعيش داخلنا.. داخل كلّ واحد منا.. أمّا الذئب فإن شئت سيظهر.. سأقحمه في الحكاية..

(يظهر رجل البذلة من اليمين يتقدّم مسرعا، ثم يتوقف منتبها لهما ومبتسما، يلقي نظرة حادة تجاههما، ثم يغادر من اليسار.. الفتاة تضطرب، تتغيّر ملامحها نحو الانزعاج. ثم تعود إلى التصنّع..)

الفتاة: (بدلال مصطنع) كلا، كلا، لا أريد ذئبا.. (ثم بلكنة طفل وقد أظهرت من ثنايا ملابسها أوراقا) أريدك أن تُمضي هذه الأوراق يا والدي الطيّب

العجوز: أوراق؟! (يضحك ويتقدّم نحوها) ما هي هذه الأوراق؟

الفتاة: (بلهجة طفل) إنّها أوراق المدرسة.. يجب أن تمضيها يا أبي الطيب

(يتقدّم نحوها وهو راض، تناوله قلما، يمضي الأوراق)

العجوز: (مازحا) هل تحصيلك العلميّ جيّد؟

الفتاة: (وهي تخفي الأوراق) ما تظنّ بابنتك الحلوة؟

(تقبّله وتخرج مسرعة من اليمين، بينما يجلس العجوز على الكرسي)

العجوز: (ضاحكا) فتاة شقيّة، شقيّة.. لكنّها حقا لطيفة.. (يغيب برهة ثم يعاوده الضحك) تعتقد أنّها خدعتني.. غباؤها يصوّر لها أنّه بالإمكان خداع عجوز مثلي..

(ثم بمرح طفولي مقلّدا ابنته) امضِ يا أبي، إنّها أوراق المدرسة يا أبي.. تلعب دور الفتاة اللطيفة لتقضي ما تريد.. اقض ما أنت قاضٍ إنّما تقضي هذه الحياة الدنيا. (ثم بمرح ساذج) خدعتني صحيح.. فالأوراق قطعا ليست للمدرسة بل هي أوراق القرض (يضحك) لكن لا بأس ما دمت قد قضيت وقتا ممتعا مع فتاتي الصغيرة.. (يغيب لحظة ثم يعاوده الضحك، ينخرط في الغناء إلى أن يقوم ويخرج مترنّحا كالسكران)

العجوز: (مغنيا) أنا لمّا بكون بين ايديك.. بحس بحالي طفل صغير، طفل صغير..

(يغيب عن اليسار)

إظلام- تعتيم

الموجة الثانية:

(تظهر شاشة سينمائية في آخر الركح، تعرض العجوز وهو يحضن ابنته ويلاعبها.. كلب ينبح ويحاول الانقضاض على الطفلة.. الطفلة تحتمي بوالدها. الأب كأنه لا يرى الكلب، يحضن ابنته بقوة. الطفلة تفلت من يده هاربة.. الكلب يتبعها وينبح.. يتزامن مع كلّ ذلك أصوات الفلاحين في الخارج، همهمة واحتجاج وفوضى.. يظهر رجل البذلة والفتاة في الرواق، يتحركان بسرعة في توتر جيئة وذهابا.. ثم تظهر المرأة على اليمين تكنس الرواق.

العجوز عند عتبة الباب الذي في الوسط مبتسما ثم يتقدّم ويلتفت ناحية المرأة.. تختفي الابتسامة وتختفي الصورة السينمائية. يضاء الرواق وتتوقف المرأة عن الكنس. تنظر إلى العجوز بخوف وتساؤل)

العجوز: ألا تملّين؟

المرأة: (تواصل النظر إليه بخوف)

العجوز: كل يوم تكنسين. في الصباح تكنسين. وعند الزوال تكنسين وفي المساء تكنسين دائما تكنسين.

المرأة: (بحزن) ما الذي تريد مني أن أفعل غير ذلك

العجوز: (وهو يتقدم إلى الكرسي) افعلِ أيّ شيء أو لا تفعلِ أيّ شيء.. المهم ألّا تكرّري فعلك هذا أمامي في كل الأوقات التي تقع فيها عيني عليك.. الكنس الكنس.. دائما الكنس..

المرأة: أخاف أن يفاجئنا ضيف بقدومه. (تتقدم نحوه)

العجوز: (يضحك) ضيف! تقول ضيف!! منذ سنوات وأنت تكنسين ولم نر ضيفك..

المرأة: التوقّع شيء والحقيقة شيء آخر.

العجوز: (يضحك) أنت لا تتوقعين بل تتوهمين..

المرأة: أنت نفسك، تجلس هنا لساعات كالمنتظر شيئا وما من شيء..

العجوز: ام صحيح.. هذا كلام صحيح.. ولكني أجلس هنا لأني لا أجد فعلا آخر لي.. في مثل عمري.. أرى أن كل الأعمال انتهت.

المرأة: أنا الأخرى لا أجد فعلا لي غير الكنس (تهم بالذهاب)

العجوز: انتظري

(المرأة تتوقف)

العجوز: إلى أين تذهبين؟

المرأة: أرى إن كان بالإمكان القيام بشيء آخر غير الكنس..

العجوز: (يضحك) ما هو هذا الشيء؟ الرقص مثلا؟ مشاهدة التلفاز؟ مللنا كل ذلك مللنا كل ذلك.. آتِني بأوراق وقلم لأكتب

المرأة: ما ستكتب؟

العجوز: أوه، يا لك من مزعجة! آتني بما طلبت.

(تنصرف المرأة مختفية من الباب الذي في الوسط. يتقدّم العجوز نحو الكرسيّ الفخم ويجلس. يغيب كالمفكر..)

العجوز: ترى ما سأكتب له؟ وعن أيّ شيء سأحدّثه؟

(ثم وهو يضحك) عن الملل؟ عن الحياة الرتيبة؟

(المرأة تعود بالأوراق، تناولها العجوز وتهمّ بالذهاب)

العجوز: انتظري.. أنت دائما هكذا مسرعة (ثم بلهجة أمر رقيقة) اجلسي.

(تجلس بجانبه في صمت مبدية الاهتمام)

العجوز: أفكّر في الكتابة لابني..

المرأة: ابنك؟! هاجر منذ عشر سنوات.. لا نعرف له مكانا أو عنوانا!! كل ما نعرفه أنه في بلاد ما في أوروبا..

العجوز: أعرف كل هذا، لكنك حمقاء.. ما ترين بجماعة البريد؟ أغبياء هم! إنهم يعرفون كل شيء. بإمكانهم معرفة كل شيء! العناوين اختصاصهم

سيجدون عنوان ابني..

المرأة: أحاول أن أصدّقك.. ولأنك عنيد سأصدّقك مرغمة!!

العجوز: أنا عنيد وأنت حمقاء.. هيّا لا تعكّري مزاجي بأفكارك السطحيّة عن العالم..

المرأة: ما ستكتب له؟ وعن أيّ شيء ستحدّثه؟

العجوز: لو كنت أعرف ما أجلستك جنبي! إني أفكر، وعليك أن تفكري معي أنت أيضا..

المرأة: فيم أفكّر معك؟

العجوز: في الكتابة لابني.. في ما سنكتب له؟

المرأة: (تضحك بعصبية) إنّك تذكرني بوالدتي حين أرادت الكتابة لوالدي الذي كان مجاهدا.. يومها أجلستني بجانبها وأخذت تملي عليّ بعض الأفكار وتسألني عن أفكاري لأبلّغها والدي في الرسالة.. (تضحك بعصبية)

العجوز: (يضحك بمرح) ذكرتني بالأيام الحلوة.. تذكرين، تذكرين لعبنا ومرحنا، تذكرين لهونا مع الجيران، ومقالبنا ضدّهم.. كنا نُضرب ولا نرتدع..

أيام حلوة.. أيام حلوة

(يغيب بفكره لحظة وتغيب المرأة)

العجوز: المهم. ما حصل بعد ذلك؟ هل أرسلنا الرسالة؟

المرأة: (تنتبه وتنخرط في الضحك) ألا تذكر.. لم نرسل بل وصلتنا رسالة تقول أن والدي قد مات منذ أسبوع.

(تواصل ضحكها بينما يقطّب العجوز)

العجوز: أصمتي. امرأة حمقاء. لا تحسنين غير التفوه بالحماقات!

المرأة: (تصمت وتعتدل، ثم بلهجة حزن) أعتذر لم أقصد الإساءة

العجوز: والآن، سأبدأ في خطّ الرسالة (يخطّ بقلمه على الورقة) في ذات يوم من أيام السنة المديدة، أكتب لك من حديقة العمر الجميل لأقول لك أشياء هامة..

(متوقفا عن الكتابة وناظرا في وجه المرأة كالمسترق أفكارا)

ترى ما هي هذه الأشياء الهامة؟

نحن بخير، الناس لطفاء، نوجّه لك التحيات..

(موجها كلامه نحو المرأة) ما رأيك؟ كلام جميل؟

المرأة: جميل جدّا!!

العجوز: إذن أواصل.. (خاطّا في ورقته) أنا في صحة جيّدة.. لا أدخّن ولا أسعل. وأدخل المرحاض مرتين في اليوم..

(المرأة تكتم ضحكا خفيّا يغلبها)

العجوز: (منتبها، ثم بلهجة ساذجة) يجب أن أعلمه بمثل هذه الأشياء حتى يطمئنّ. لابدّ أنّه قلق لأجلنا..

المرأة: طبعا، طبعا. من المؤكّد..

العجوز: إذن أواصل.. عمتك مشتاقة لك وتبلّغك التحيات.. (ينظر إليها مبتسما) أختك كذلك.. العمال.. كلّ الناس، كلّ الناس.. كلّ الناس ينتظرون عودتك..

(موجها كلامه للمرأة) ما رأيك؟

المرأة: (باضطراب وتلعثم) جيّد.. جيّد

العجوز: إذن لأقرأ.. في ذات يوم.. نحن بخير.. أدخل المرحاض مرتين.. عمّتك.. أوه! يا للرداءة.. يا للسخف.. سأعيد الكتابة

(يتلف الورقة، ينخرط في التفكير، يخطّ أشياء أخرى ثم يتلف الورقة من جديد.. يعود إلى الكتابة ثم يتلف الأوراق وهكذا مرات ومرات، بينما تظهر على وجهه علامات الضجر تدريجيا.. المرأة مضطربة كأنّها تخشى ثورته..)

العجوز: يا للسأم.. لا أستطيع أن أخطّ رسالة تليق بابني.. ضاعت مني قريحتي الأدبيّة، وكلّ هذا بسببك.. وجهك يذهب بالأفكار.. سأذهب لأخطّ رسالة في غرفتي..

(يقف غاضبا بحزم) رُفع الاجتماع. عودي إلى الكنس إن شئت

(يغادر الركح، داخلا من الباب الذي في الوسط.. تبقى المرأة مشدوهة، مضطربة، حائرة. تنظر إلى الكرسيّ الفخم كأنّها تريد أن تجلس، ثم تدير وجهها عن الكرسيّ حائرة، شاردة.. تظهر الفتاة الشابة من اليمين، تتقدم سريعا نحو

المرأة، تجلس مكان العجوز. ثم مخاطبة المرأة بازدراء)

الفتاة: مالي أراك هنا؟

المرأة: كنت أجالس والدك

الفتاة: تجالسينه؟ ما الداعي؟

المرأة: كان يودّ أن يخطّ رسالة لأخيك

الفتاة: رسالة لأخي.. أخي الميت؟ ألا يعلم أنّه ميت منذ سنتين!!

المرأة: لا يريد أن يفهم.. يعتقد أنّ الجميع كاذبون.. لا يصدّق أنّ ابنه الذي انتظر عودته لثماني سنوات، يمكن أن يموت بعد كلّ هذا الانتظار..

الفتاة: يا لوالدي!!

المرأة: (في اضطراب) اسمحِ لي بالانصراف.. (تهمّ بالذهاب)

الفتاة: انتظري.. أحتاج مساعدتك

المرأة: يا لهذا اليوم.. كلّكم تطلبون مساعدة هذه المسكينة

الفتاة: اقتربي واصمتي

المرأة: كلّي آذان صاغية يا سيدتي الصغيرة

الفتاة: كيف ترين المهندس؟

(المرأة تشرد)

الفتاة: يا هذه.. كيف ترين المهندس؟

المرأة: (بتلعثم) أراه مثل أيّ شخص في هذا العالم

الفتاة: ما تعنين؟ كيف هو؟ كيف ترينه؟

المرأة: عاديّ.. شخص عاديّ.. يكلّف بأمر فينجزه ثم ينال أجره

الفتاة: أعني كإنسان.. كأخلاق.. كزوج

المرأة: زوج؟!

الفتاة: نعم زوج.. هل ترينه زوجا صالحا لي؟

المرأة: زوج لك؟!

الفتاة: مالك؟.. كأنّ صاعقة نزلت حولك!! كفِّ عن البلاهة المصطنعة وأجيبي.. أنت خبيرة بالرجال..

المرأة: (تحدّث نفسها) يا لسفالتها.. (ثم موجهة الكلام نحوها) أرى أنّه غير صالح..

الفتاة: لِمَ تقولين ذلك؟ هل تعلمين شيئا؟

المرأة: (باضطراب) إنّه مجرّد رجل خائن.. لعوب.. طمّاع

الفتاة: لِم كلّ هذا التحامل؟ رويدك.. إن كنت لا تزكينه فإني قد حزمت أمري على الزواج منه

المرأة: ما فائدة رأيي إذن؟

الفتاة: لا أريد رأيك.. أريد منك التوسّط عند العجوز فقد يرفض

المرأة: وما يهم رفضه ما دمت قد حزمت أمرك؟

الفتاة: لا يهم في شيء.. لكني أحرص على مباركة الزواج وفاءًا لأمور لا يمكن نفيها.. الدين، المجتمع، الأخلاق، والناس..

المرأة: (باستجداء غريب) سيدتي.. أرجوك يا سيدتي، هذا الرجل لا يليق بك..

(الفتاة ذاهلة.. يظهر رجل البذلة من اليسار، يتقدّم ببطء نحوهما دون أن يلاحظاه. يقف مبتسما..)

المرأة: (مواصلة باستجداء غريب) إنّه رجل منافق.. كاذب.. طماع..

الفتاة: ما سرّ كلّ هذا التحامل؟

رجل البذلة: سرّه معروف.. القلوب المريضة!!

(ينتبهان في دهشة، المرأة تحدّق باحتقار.. رجل البذلة لا تفارقه ابتسامته الصفراء، الفتاة ترقب في دهشة..)

رجل البذلة: مالك أيّتها المرأة الحقودة المعقّدة؟

المرأة: (تقترب منه) أنت رجل حقير.. أنت شيطان

رجل البذلة: (ببرود) لِم تقولين ذلك؟ أ لأنّه لم يكن لك حظ في الحبّ!!

المرأة: الحبّ؟! أيّها الملعون الكاذب!!

رجل البذلة: كفي أيّتها الساقطة.. كلّنا نعلم حقدك.. كلّنا نعرف مدى سفالتك.. لذلك أنت أحقر الأشياء

المرأة: أيّها السافل الحقير.. ماذا فعلت لك هذه المسكينة حتى تلهو بمشاعرها.. المسكينة تثق بك ولا تعرف عنك شيئا..

رجل البذلة: وأنت؟ ما تعرفين؟

المرأة: أعرف.. أعرف.. أيّها السافل الحقير..

(تندفع باكية إلى الداخل من الباب الذي في الوسط)

الفتاة: ما بالها؟

رجل البذلة: لا تحملي همّا يا عزيزتي، إنّها امرأة حاقدة لأنّه لم يكن لها حظ في الحبّ.. هذا كلّ شيء.. المهم الآن، يجب أن نرتّب الأمور..

الفتاة: أردت منها أن تتوسّط عند والدي!!

رجل البذلة: كان من الخطأ أن تعلميها أصلا.. امرأة تافهة لا معنى لرأيها أو لتوسطها.. لماذا تقحمينها حتى تسبّب لنا المشاكل..

الفتاة: لم أكن أعرف أنّها بهذا الحقد..

رجل البذلة: بربّك يا أميرتي ما ترين بامرأة سافلة نبذها الجميع حتى عائلتها.. لو كان فيها خيرا ما قسى عليها زوجها أو أخوها.. ما كان نبذها الناس الذين هم مقياس كلّ شيء صادق..

الفتاة: كلّ شيء صادق!!

رجل البذلة: وأنا اصدق ما أكون معك! (يجثو على ركبتيه) سأكون خادمك الأمين على الدوام يا أميرتي الأحلى وأيقونتي الأغلى.. ما تساوي حياتي إذ أقدّمها عربون حبّ؟!

الفتاة: (تضحك) لا أحبّ الشاعريّة.. هي أبعد ما يكون عن الواقع

رجل البذلة: أفهم أنّك لا تعيرين حبّي اهتماما؟

الفتاة: كلّ يفهم الحبّ على طريقته.. وطريقتي مختلفة. المهمّ كما تقول كيف هي الأمور

رجل البذلة: تعنين أمور العمل.. لا تقلقي. كلّ شيء يسير وفق ما سطرت.. حصلنا على

القرض، ونحن الآن في مرحلة التنفيذ

الفتاة: والعمّال؟

رجل البذلة: سعداء.. إني أحسن تسيير الأمور.. قلت لا تقلقي..

(يظهر العجوز مبتهجا وهو يتقدّم نحوهما)

العجوز: نعم لا تقلقلي مطلقا يا بنيتي.. هذه رسالة إلى أخيك أستعجل فيها عودته

الفتاة: أخي! لكن.. (تقوم مضطربة)

العجوز: أفهم ما تريدين قوله.. قلت لا تقلقي، لا تقلقي أبدا.. لم أذكر أيّ أمر يزعجه بخصوص صحتي أو بخصوص الأرض.. أخبرته أنّ كلّ شيء على ما يرام، يرام.. لا تقلقي..

الفتاة: أبي لكن..

العجوز: امهم! أفهم، أفهم، لا تقلقي أبدا.. أبلغته تحيّاتكم جميعا.. أنت والعمة.. وحتى هذا المهندس الفضّ

(يلتفت ضاحكا ومشيرا إلى رجل البذلة، الذي يبتسم في استهزاء طيلة الحوار السابق. ثم يغضب العجوز فجأة)

العجوز: (غاضبا بصوت عالٍ) أخبرتك ألف مرّة أني لا أريد أن أراك مرتديا هذه البذلة السوداء.. ارتدي بذلة حمراء.. حمراء.. (ثم بهدوء) أنا لا أحبّ السواد..

(يختفي عن اليسار وهو يلوح برسالته)

الفتاة: (وهي ترتمي على الكرسيّ) يا لوالدي!!

رجل البذلة: (بسخرية) والدك مجنون

الفتاة: يا لوالدي..

رجل البذلة: والدك الخرف قد أصابته لوثة جنون بدماغه..

الفتاة: كفّ أرجوك

رجل البذلة: ولماذا أكفّ؟ الكلّ يعلم أنّ أخوك قد مات.. مات منذ سنتين.. أخوك طار أشلاء في الهواء.. الانفجار كان مدويا.. لم تبق منه قطعة واحدة على حالها..

الفتاة: كفّ أرجوك..

رجل البذلة: والدك يكتب الرسائل للمجهول.. لشيء لا وجود له.. يكتب للعدم..

الفتاة: (تضغط بيديها على رأسها) أرجوك.. أتوسّل إليك..

رجل البذلة: (بوافر الشماتة والحقد) عجوزك رجل انتهت صلاحيّته.. لم يعد صالحا لشيء.. من العبث أن نعتمد عليه..

(يخرج سريعا عن اليسار متصنّعا الغضب. الفتاة تصرخ وهي تضغط على رأسها فيما تتلاشى الإضاءة ببطء)

الموجة الثالثة:

تظهر المرأة من الوسط، مضطربة وسريعة الحركة، بيدها مكنسة، تكنس تارة وتتوقف تارة، وهي تتكلّم

المرأة: (كأنّها تهذي) أقول لها إنّه رجل سيّء فيدّعون مرضي وهبلي، حقدي وغضبي.. أقول إنّ ابنك قد مات.. مات. فيقول إني أنتظر عودته..

عودة من؟ عودة رجل ميت!! يكتب الرسائل لميّت!!

(ثم مقلّدة صوته وحركاته) أن تقتلني السجائر خير من أن تقتلني الأحداث..

أدخل المرحاض مرتين في اليوم!! (ثم وهي تكنس) اللعنة.. اللعنة..

(تواصل كنسها صامتة لحظة، ثم تتوقف كالمسترجع ذكريات)

ما كان كلامه إذن؟ كذب.. خداع.. نفاق؟! لماذا فعل معي ما فعل؟!

(تعود للكنس) غبية.. أنا غبيّة.. كم كنت غبيّة..

(يظهر العجوز من اليسار غاضبا)

العجوز: نعم كم أنت غبيّة.. قلت لك هات العنوان، هات العنوان، هات عنوان ابني، فرفضت وتعللت بالتفاهات..

المرأة: أنا؟!

العجوز: نعم أنت.. ولسوء الحظ كان جماعة البريد أغبى منك. يقولون لي ليس هناك عنوان، ناولنا العنوان.. أقول لهم أنتم جماعة البريد. العناوين هي عملكم. كيف تعجزون؟! أزعجوني بنقاشاتهم إلى حدّ الضجر..

المرأة: معهم حق. يجب أن يكون هناك عنوان..

العجوز: أنت أيضا صرت تفهمين في الحقوق، أيتها الفضّة البغيضة..

(المرأة تنفجر باكية، وتهمّ بالذهاب)

العجوز: انتظري.. إلى أين تذهبين؟

المرأة: أذهب.. أذهب.. (تنخرط في البكاء)

العجوز: مالك؟ أ فتاة صغيرة تريد أن تثير شفقتنا!!

(المرأة تختفي سريعا من الباب الذي في الوسط، وتسمع قرقعة الباب إذ يغلق بقوة.. بينما يتقدّم العجوز نحو الكرسيّ ويتّخذ مكانه جالسا)

العجوز: حمقاء.. حمقاء.. كلّما وقعت عليها عيناي وجدتها تكنس.. يا له من فال سيّء! ما بال هذا البيت، كلّ من فيه يصير مجنونا!! وجماعة البريد أيضا مجانين.. أنا الوحيد العاقل في هذا الكون..

(يصمت العجوز للحظة شاردا.. تظهر المرأة عند عتبة الباب الذي في الوسط بيدها حقيبة، تلقي بصرها نحو العجوز، ثم تتقدّم نحو اليسار لتخرج.

يعترضها رجل البذلة في منتصف الطريق إلى الخارج..)

رجل البذلة: إلى أين؟

المرأة: تنحّ عن طريقي

رجل البذلة: قلت إلى أين؟

المرأة: ما تريد أنت الآخر.. دعني أرحل

رجل البذلة: ترحلين؟! تتركين بيتك وترحلين.. إلى أين؟ هذا لا يليق بك..

المرأة: ما شأنك أنت؟ دعني أرحل..

رجل البذلة: لا.. لن ترحلي

العجوز: (بلهجة برود ودون أن يلتفت) دعها ترحل يا دكتور.. دعها ترحل. ليفعل كلّ إنسان ما يشاء في هذا العالم..

المرأة: أسمعته بنفسك.. دعني أذهب

العجوز: نعم دعها تذهب.. لا تقلق. ستعود. ليس لها مكان غير هذا.. لن يحتمل أحد سذاجتها وحماقتها إلى الأبد غيري..

رجل البذلة: أسمعته؟ جنّبي نفسك المهانة إذن. ما فائدة الرحيل الآن، إن كنت ستعودين في الغد أكثر انكسارا!! هيا عودي أيتها الطيبة

(يقول ذلك وهو يجرّها جرّا إلى الخلف)

المرأة: (وهي مثقلة ومتعبة ويكاد يغمى عليها) لِم لا تدعني أهرب من هذا الجحيم..

العجوز: (وهو يضحك) الآن صار بيتي جحيما أيّتها الفاضلة..

رجل البذلة: (مبتسما) لا تعيري كلامه أهميّة.. عودي من أجل ابنته ومن أجله هو أيضا. فمهما يكن من أمر، يظلّ أخوك. وهو ليس رجلا سيّئا أبدا..

(المرأة تختفي من الباب الذي في الوسط)

العجوز: يا دكتور إنها تستفزّني بحماقتها

رجل البذلة: كيف يا سيّدي؟

العجوز: أقول لها إنّ جماعة البريد أغبياء ولا يحسنون عملهم، تقول لي معهم حق. كان لابدّ من وجود عنوان.. إن كان لابدّ من وجود عنوان، ما فائدة وجودهم إذن؟

رجل البذلة: معك حقّ يا سيّدي، وعلى جماعة البريد أن يحسنوا عملهم!!

العجوز: أرأيت؟ عليهم أن يعرفوا جميع العناوين بأنفسهم دون حاجة لنا..

رجل البذلة: هذا صحيح يا سيّدي..

العجوز: أرأيت؟ لأجل ذلك أغضب..

رجل البذلة: لا، لا تغضب مجدّدا يا سيدي.. ولا تحدّث هذه المرأة في أمور جديّة كهذه مرة أخرى..

العجوز: (ملتفتا إليه) يا سيّدي المبجّل أنا لا أغضب من أجل لا شيء، إنّما..

(ينتبه إلى لباسه الأسود) قلت لك ألف مرة انزع عنّا هذا السواد!!

(يقف ويتقدّم نحوه) ماذا باللون الأحمر؟ سيّء هو!! (ثم بهدوء) أنا لا أحبّ السواد.. (يخرج عن اليمين).

(رجل البذلة يبتسم ساخرا، يتقدّم نحو كرسيّ العجوز ويجلس، أصوات همهمة وضجيج في الخارج.. تظهر المرأة الأربعينية من الوسط، تكنس في حزن لحظة، ثم تنتبه إلى رجل البذلة، تتقدّم نحوه)

المرأة: مالي أراك هنا؟

رجل البذلة: وأين يحلو لك رؤيتي؟

المرأة: ألا تسمع همهمتهم.. يُفترض أن تكون معهم

رجل البذلة: أوه! صار يهمّك العمل الآن.. أفصحي، لماذا تريدين مني الرحيل؟

المرأة: مكانك الطبيعيّ أن تكون معهم..

رجل البذلة: (يضحك بخبث) هل يزعجك أن أكون بجانبك؟!

المرأة: بجانبي! ما الذي تقوله أيّها السافل؟

رجل البذلة: ألم أكن دوما إلى جانبك؟

المرأة: ....

رجل البذلة: (يستقيم واقفا ويقترب منها) هيّا أين ابتسامتك يا حبيبتي.. (يمسك يديها)

المرأة: (تجذب يديها بقوة وغضب) أيها السافل الحقير.. أيّها الشيطان اللئيم. ما تريد؟

رجل البذلة: أريدك أنت..

المرأة: لا تكن حقيرا أكثر من هذا..

(رجل البذلة يتحسس بيده وجهها، المرأة تصدّه، تشتبك الأيادي)

رجل البذلة: أيّتها الجميلة.. تعلمين أنّك وحدك القادرة على إثارة إعجابي

المرأة: (محاولة إبعاده) أيّها الشيطان.. أيّها الملعون..

(رجل البذلة يضحك، المرأة تفلت منه، تصفعه بقوة، تركض سريعا باتجاه الوسط، تختفي بالداخل، رجل البذلة يلاحقها، يختفي وراءها، يُغلق الباب بقوة، يسمع الجمهور صراخ المرأة، ثم يعمّ الصمت لحظة. يظهر رجل البذلة مسوّيا ملابسه. يخرج سريعا من اليسار. تظهر المرأة في الوسط كئيبة الملامح رثّة الثياب.. فيما تتلاشى الإضاءة ببطء)

الموجة الرابعة:

يضاء الرواق الأخير للركح، رجل البذلة والفتاة يتحركان مرورا من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين. يظهر العجوز من الوسط ينظر في ساعته اليدوية.

يتقدّم ببطء نحو الكرسيّ. يجلس، يلتفت يمينا ويسارا، ينظر في ساعته من جديد.. رجل البذلة والفتاة يعاودان الظهور من جديد ثم يختفيان عن اليسار.. تظهر المرأة من الوسط بلا مكنسة، ترتدي ملابس محترمة بشكل معقول.. تجيل عينيها في الفضاء ببرود، ثم تتقدّم نحو العجوز..

المرأة: ها أنا يا سيدي آتيك في موعدي بالضبط.

العجوز: ليس تماما.. لقد تأخرت عني دقيقة. لكن لا بأس، هذا مفهوم بما أنّك كنت تستعدّين للقائي (ينتبه إلى لباسها) يا لهذا الفستان الجميل! أحمر لكنّه يعجبني..

المرأة: ألا تحبّ اللون الأحمر؟

العجوز: لا أحبّه ولا أكرهه.. أحبّ الألوان الباردة، وأكره بشدّة القيم الضوئيّة. الأسود والأبيض شيئان مقرفان، تعبير واحد رغم التناقض..

المرأة: (تتأمل بدلته السوداء باستغراب) هل نبدأ؟

العجوز: نعم لنبدأ، رُفع الاجتماع.. أعني عُقد الاجتماع. ترين أنّي مازلت أحتفظ بروح الدعابة كما كنت!!

المرأة: (لا ينبأ وجهها عن شيء)

العجوز: اجلسي ولا تحملي همّا.. ابتهجي ودعي منطق الحياة يسير.. لتكن كلّ الأمور عادية في نظرك. لا شيء يستأهل منّا الكآبة..

المرأة: ابدأ ولا تضيّع الوقت في الحِكمِ التي لا تجيد صوغها!!

العجوز: معك حقّ.. فأنا لا أجيد فعل شيء بشكل صحيح سوى الهذيان..

(يلتفت ناحية المنضدة) قرّبيها رجاءًا (المرأة تقف وتقرّب المنضدة) أحسنت..

(ثم بصوت عالٍ) العصير، أين العصير؟ (تهمّ المرأة بالوقوف فيمنعها العجوز)

لا لست أنت.. إنّك عضوة محترمة. (ثم مناديا) يا هوه.. العصير من فضلك..

(يظهر رجل البذلة من اليمين، بيده صينيّة عليها ثلاثة كؤوس مُلئت عصيرا.

يتقدّم واضعا الصينيّة على المنضدة، ويظلّ واقفا لحظة)

العجوز: أنت! مرة أخرى البذلة السوداء؟ حتى في يوم الاجتماع! هذا يؤثّر على موقفنا تجاهك رغم موضوعيّتنا (يلتفت ناحية المرأة) أليس كذلك أيّتها العضوة المحترمة؟

(المرأة باهتة الملامح، لا ينبأ وجهها عن شيء)

العجوز: (موجّها كلامه لرجل البذلة) هيّا انصرف.. يمنع عليك حضور الاجتماع، كما يمنع حضور الصحافيين. (يضحك لأجل دعابته)

(رجل البذلة يحيي العجوز بحركة تنمّ عن احترام وسخريّة في الآن نفسه ثم يخرج عن اليمين)

العجوز: (مرتشفا من العصير) المفيد أيّتها العضوة المحترمة، نجتمع اليوم من أجل موضوع هام.. موضوع خطير

(تتحول لهجته إلى لهجة خطابية لا تخلو من بلادة) موضوع حياة أو موت..

المرأة: لا تقل إنّك ستبيع الأرض والسرايا..

العجوز: ما هذا أيّتها العضوة المحترمة.. لا تضطرّني لقول كلام سيّء..

(يتصنّع الجديّة، وتبدو بلاهته بشكل يثير الضحك) هذا الموضوع.. الذي نجتمع من أجله اليوم.. هو زواج ابنتنا المصون بذلك المهندس المجنون..

(المرأة تشيح بوجهها عنه)

العجوز: هاه! تكلّمي..

المرأة: ما الذي تريد مني أن أقوله؟

العجوز: قولي رأيك..

المرأة: وهل له نفع أو وزن؟!

العجوز: لا.. أبدا!!

المرأة: إذن فيم سؤالك؟

العجوز: مجاراة للعادة فحسب.. "لا خاب من استشار ولم تُخرب له ديار"

(المرأة تشيح بوجهها انزعاجا وحزنا)

العجوز: لِم هذا؟ أنا أيضا ليس لرأيي أيّ وزن.. لكن عليّ إبداؤه مجاراة للعادة. وعليه، يتوجّب أن لا أزعج أحدا به ما دام بلا نفع.. إذن يجب أن أساير الأمور كما أساير العادات. وعليه:

(يستقيم واقفا ويرفع يده، فتحاكيه المرأة)

العجوز: أعلن أنا سيادة رئيس المجلس العائلي الموقّر، باسمي وباسم كافة الأعضاء الموقرين (يلتفت ناحية المرأة ويبتسم) نعلن بالإجماع عن موافقتنا النهائية عن الأمر المنوط بعهدتنا

(يظهر في تلك اللحظة رجل البذلة من اليمين، والفتاة من اليسار، بشكل متناظر ويقفان في تهيّب كوقوف الطالب أمام لجنة الامتحان ساعة التصريح بالنتيجة)

العجوز: (مواصلا) والمتمثّل في طلب السيد المهندس الفض يد ابنتنا البلهاء..

وهذا القرار لا يُراجع ولا يُنقض.. رُفعت الجلسة

(رجل البذلة والفتاة يصفقان طويلا ثم ينحنيان تحيّة، فيما تتلاشى الإضاءة ببطء)

الموجة الخامسة:

يضاء الركح، يظهر رجل البذلة من اليمين والفتاة من اليسار. يتبادلان النظرات القاسية وهما يدوران كمصارعين. ثم يتوقفان، متناظرين ومتبادلين نظرات حادّة..

الفتاة: هل انتهى كلّ شيء؟

رجل البذلة: بل الآن بدأ كلّ شيء..

الفتاة: جررت أقدامنا إلى الإفلاس.. كلّ ذلك بسبب غبائك

رجل البذلة: بل بسبب غبائكما.. ما الإفلاس إلا بداية

الفتاة: بداية؟!

رجل البذلة: سنوات من الذلّ.. سنوات من الهوان قضّتها والدتي بين جدران هذا السجن..

الفتاة: ما الذي تتفوه به أيّها المخبول؟! أنت إذن وراء كلّ هذه المصائب..

رجل البذلة: كانت تعود كلّ ليلة مرهقة.. تفيض عليكم بلعناتها

الفتاة: هذا إذن جزاء الإحسان..

رجل البذلة: إحسان؟! إحسان والدك لنا حين استولى على أرضنا.. حين جرّد عائلتي من جميع أملاكها.. حين تسبّب بموت والدي.. حين امتهن والدتي و.. و.. الآن بداية لكلّ شيء..

(تزداد نظراته حدّة، يتفرّس في الفتاة، ثم يتقدّم نحوها بخطوات هادئة..)

الفتاة: ما الذي تريد أن تفعل أكثر؟ (تتراجع)

(رجل البذلة يواصل تقدّمه وينقضّ عليها)

الفتاة: (صائحة) أبي.. أبي..

رجل البذلة: لن يسمعك.. والدك قد أصابته لوثة

(يظهر العجوز يتوكّأ على عقافة، يحدّق برجل البذلة باستغراب يعقبه

استهجان يبدو على ملامح وجهه، ثم تنقلب نظراته وملامح وجهه إلى التودّد.. عينان ملهوفتان ألهبهما الفراق..)

العجوز: ولدي! (يتقدّم خطوات نحوهما) عاد ولدي أخيرا!!

(رجل البذلة يتراجع، الفتاة تسوي ملابسها وتنظر إلى العجوز بإشفاق)

العجوز: أنت لست ولدي.. ولدي لا يقدم على المشين من الأمور.. أو لعلّ الدنيا غيّرتك!! من يدري، إنّ العالم لمليء بالمتقلّبات..

رجل البذلة: لست ابنك أيّها العجوز الخرف..

العجوز: من أنت إذن؟ رجل غريب في بيتنا!! (ثم مناديا في غضب) أيّتها العجوز الخرفة.. (تظهر المرأة سريعا جزعة) كيف دخل هذا الغريب بيتي؟

المرأة: ليس غريبا، هذا..

العجوز: من هذا؟ أهو ولدي..

المرأة: هو جند من جنودكم..

العجوز: جنودكم!! إلى البنادق يا جنود.. يجب أن نتعلّم في الحرب كيف نكون مستعدّين على الدّوام..

(رجل البذلة يقهقه ضاحكا بصوت عالٍ)

العجوز: من أنت أيّها الغريب؟ (ينتبه إلى لباسه) ألف مرة أخبرتك أني لا أحبّ السواد.. لِم تلبس هذه البذلة؟ إنّك تثير أعصابي دائما..

(رجل البذلة يوجّه نحوه نظرات حادة قاسية، تجمع بين الحقد والازدراء. ثم يخرج عن اليمين)

العجوز: (ذاهلا) لكن من أنت؟!

(الفتاة بصرها إلى الأرض منكسرة وحزينة، المرأة تأخذ بيد العجوز الذي يلازمه هذيانه، يتقدّمان ببطء نحو الباب الذي في الوسط، يختفيان وتتلاشى الإضاءة..)

الموجة السادسة:

يضاء الركح، العجوز جالس على الكرسيّ مطيلا النظر نحو الأفق متأمّلا، يهمّ بالكلام، يبدو عليه التردّد ويغرق في التفكير.

العجوز: (مجريا على لسانه الكلام بصعوبة وبطء) الواقع أنّ العالم سيّء.. لكني مضطرّ إلى التعلّق بحياتي بشغف حتى النهاية.. الواقع أنّ.. تلك الأحداث كانت.. (يغرق في التفكير) وعلى كل حال.. همم.. آه..

(يظهر رجل البذلة من اليسار، يتقدّم سريعا نحو يمين العجوز)

رجل البذلة: (قبالة الجمهور دون أن ينظر تجاه العجوز) فعلتها أيّها العجوز الخرف!!

العجوز: (ملتفتا نحوه وضاحكا باستهزاء) من؟ الرجل المغامر المقامر..

رجل البذلة: (ضاحكا في استهزاء) تظن أنّ ذلك سينجيك.. نسيت أنّي أحكم قبضتي

العجوز: تُحكم قبضتك!! كثيرون هم الذين يحكمون قبضتهم.. لكن الأمور تُفلت من حيث لم يحتسبوا..

رجل البذلة: أيّها الفظّ البغيض. تحسب أنّ هناك من سيرقّ لحالك ويساعدك من خلال إعلان صحيفة..

العجوز: صحيفة؟! منذ سنوات لم أطالع صحيفة.. كيف هي العناوين الآن؟ منذ مدة لم تذكر لي ما يجري في العالم.. اسطنبول كيف هي اسطنبول؟ كيف هي العواصم؟ كيف هي الأماكن؟ هل ذكرت الصحف شيئا عن ولدي؟!

رجل البذلة: ولدك أيّها الشيخ الخرف.. ولدك الذي تناثر أشلاء في الهواء ضمن ألهبة النار والدخان..

العجوز: (غاضبا) أنت الذي ستأكلك النار والدخان يا سوداويّ النظرة.. يا مأساويّ التفكير.. أين هو ولدي؟ (يمسك بتلابيبه) أنت أخفيته؟ قتلته؟ تكلّم.. أيّها السوداويّ!! لِم لا تنزع عنّا هذا السواد؟

رجل البذلة: ابتعد عني أيّها العجوز الخرف.. (يتقدّم خطوات نحو الخروج ثم يلتفت)

ولتعلم أنّه لا أحد يطمع في أرضك الجدباء.. إنّي وريثك الشرعي رغما عنك..

(يخرج عن اليسار)

العجوز: وريثي الشرعي؟ أنت إذن ولدي!! لكن لماذا لم تحدثني عما صنعت في الغربة!!

(تتغير الإضاءة بما يخدم زمن الحلم والتهيؤات النفسية، إضاءة تشبه الفجر، يظهر طيف رجل في لباس أبيض أنيق كأفضل ما تكون الأناقة)

الطيف: لأنيّ الآن وصلت..

العجوز: (بلهفة) ولدي.. عدت أخيرا (يتقدّم نحوه) كنت على ثقة أنّك لا بدّ عائد..

الطيف: (مبتسما) كيف حالك يا أبي؟

العجوز: بخير ما دامت الأقدار قد هيّأت لي رؤيتك.. يقولون يا ولدي أنّك متّ، هل صحيح أنّك متّ أم أنّهم يكذبون؟

الطيف: بالطبع هم يكذبون.. ألا تراني أمامك؟

العجوز: نعم إني لأراك.. أنت ولدي بدمك ولحمك.. اقترب يا ولدي.. أدنو مني حتى أحضنك.

(يتراجع الطيف إلى الوراء فيما يتقدّم العجوز نحوه في بطء وتثاقل رغم ما يبذله من جهد واضح للإسراع..)

العجوز: لماذا تهرب منّي.. انتظرني، انتظر يا ولدي.. لم تكن إذن إلا وهما!! لم تكن إذن إلا وهما (يختفيان عن اليمين، وتسمع صرخة نسائية مدويّة)

إظلام- تعتيم

الموجة السابعة:

(يظهر رجل البذلة من اليسار، يتقدّم بتوتر واضح)

رجل البذلة: ما الذي جرى بالضبط؟ هل حان الوقت لتلعب الحياة معي لعبتها القذرة؟ ماذا يريد هذا العجوز الخرف أن يفعل؟ أو ما الذي باستطاعته أن يفعل؟ يا له من داهية حقير.. لا تسمع منه غير اللغو والبلاهة، لكنّ فعله لا يُنبأ عن العجز أبدا.. هذا الثعبان الهرم!!

(تظهر الفتاة من اليمين كئيبة حزينة)

الفتاة: طالبنا بفتح تحقيق، ومراجعة دقيقة للحسابات

رجل البذلة: ما الذي تتفوهين به؟ تحقيق! في أيّ أمر؟

الفتاة: في كلّ الأمور التي تهمّنا.. لا يمكن أن يكون ما حدث طبيعيّا

رجل البذلة: تريدون توريطي أليس كذلك؟

الفتاة: فيم نورّطك ما دمت بمنأى عن الشبهات

رجل البذلة: إذن فلتعلموا أنّ كلّ ما حدث كان طبيعيّا.. طبيعيّ جدّا..

الفتاة: فيم خوفك إذن؟

رجل البذلة: أنا! أنا لا أخشى شيئا.. (ينصرف عن اليسار)

(تظهر المرأة من الوسط، تدفع كرسيّا متحرّكا جلس عليه العجوز القعيد)

الفتاة: أبي، هل أنت بخير يا أبي؟

العجوز: بخير، بخير.. المهم ألم يأت أخوك؟ مضت ساعتان على خروجه..

الفتاة: أيّ ساعتان؟! أخي لم يعد منذ عشر سنوات!!

العجوز: عشر سنوات!! ما بالك يا فتاة؟ أجننت؟

المرأة: (مخاطبة الفتاة لتكف عن مصارحته) من فضلك..

الفتاة: (مستدركة) أعني أنّه لم يعد منذ يوم أمس..

العجوز: آه! هكذا تكونين عاقلة..

الفتاة: أستأذنكما في الخروج.. لديّ عمل (تنصرف في حزن)

العجوز: رحلت هي الأخرى.. أيّ عمل هذا يبعدك عن أبيك..

(ثم مخاطبا المرأة) لم يبق معي غيرك رغم إساءاتي لك!! ليس لي الآن من أنيس سواك.. أرجو منك مسامحتي..

المرأة: اطرح عنك.. لكلّ منّا عذر يبرّر فعله..

العجوز: (محرّكا عجلتي الكرسي بيديه) جولي بي إذن في هذا الفضاء لأدرك عظمة الفراغ، وكم هو مدمٍ هذا الوجع..

(تجول به في أرجاء الركح) جولي يا فتاة.. جولي.. جولي..

(ينتبه إلى الكرسي الوثير في الوسط) بل توقّفي.. من وضع هذا الكرسيّ هنا؟ وهذه المنضدة الحقيرة؟! أزيحي كلّ هذا من فضلك..

(المرأة تتناول الكرسيّ وتخرجه من الباب الذي في الوسط، ثم تعود وتُخرج المنضدة، تختفي للحظات بالداخل)

العجوز: أين أنت؟ لماذا أبطأت؟ ماذا لو جاء ولدي ورآني وحيدا؟! ما كان سيقول عنك؟ هيّا، هيّا.. عودي ولا تبطئي..

(يظهر رجلان من اليمين، أولهما تبدو عليه الرفعة والفخامة، بينما يبدو الثاني أقلّ توهجا وأناقة يتقدّمان بهدوء نحو العجوز)

الغريب الأول: مرحبا أيّها السيّد

العجوز: (يلتفت نحوهما وقد أشرقت أساريره) ولدي! عدت أخيرا!! اقترب حتى أحضنك. لكن لماذا تناديني بالسيد؟ لماذا لا تقل يا أبي؟

الغريب الأول: حسنا يا أبي.. كيف أنت يا أبي؟

العجوز: (محرّكا كرسيّه نحوه) أقصى ما كنت أتمنى هو رؤيتك بعد هذا الفراق.. بنيّ، أدنو مني أرجوك.. أدنو مني حتى ألمسك! لماذا لا تحضنني وتقبّل جبيني كما يفعل الأبناء الصالحون؟

الرجل الغريب: (يقترب ويقبّل جبين العجوز ببرود) معك حقّ.. آسف يا أبي، مازلت متعبا من

وعثاء السفر.. أكرّر أسفي

العجوز: (وهو يمرّر يده على وجه الغريب) لا عليك.. إنّ حبي لكفيل بالغفران.. لقد غيّرت الدنيا ملامحك..

(تعود المرأة، يسترعي انتباهها الغريبين فتهرع راكضة وتمسك بمقود الكرسيّ)

العجوز: أنظري يا أختاه، لقد عاد ولدي. هل أنت سعيدة مثلي؟

المرأة: (مخاطبة الغريبين) أرجو المعذرة.. حالته لا تسرّ. فراق ولده أثّر..

الرجل الغريب: (مقاطعا) لي علم بحاله، لا داعي للشرح

المرأة: (مستاءة من حدّته) ما الذي أتى بكما إلينا أيّها الغريبان؟

العجوز: ليسا غريبان، هذا ولدي وهذا صاحبه..

الرجل الغريب: أتينا بشأن الأرض ومشاكلكم مع البنك

العجوز: آه! أخيرا عاد ولدي ليحلّ كلّ المشاكل جذريّا.. يا لسعادتي بك

المرأة: تفضّلا إذن. هلّا تبعتمونا إلى الداخل..

الغريب الأول: لا داعي لذلك.. أريد أن أقول كلمتين، وسأحلّ الباقي مع البنك. سأشتري هذه السرايا والأرض.. ليبقى هذا العجوز هنا إذ أرى أن أيّامه قليلة، فلا بأس أن ينهيها هنا. ولتبقى ابنته قائمة على خدمته إلى أن يموت..

(يوجه نظرة حادة للمرأة) أما الذين يبدو أنّ أعمارهم ستطول، فعليهم أن يرحلوا عن قريب..

(المرأة مشدوهة ومتسمّرة كالتمثال دهشة وفزعا)

العجوز: من هذا الذي سيموت؟ ومن الذي سيرحل عن قريب يا ولدي؟!

المرأة: إنّه يطردني من البيت يا أخي بينما يبقيك أنت.

العجوز: من؟ ولدي يفعل هذا!! اعلم أنّه لا سبيل لطردها مطلقا.. لن أسمح بهذا حتى وإن كنت ولدي.. أتفهمني؟

الغريب الأول: نستأذنك يا سيدتي.. سنعود لاحقا عند حضور ابنته حتى نُحسن التفاهم..

(يخرج الغريبان عن اليمين)

العجوز: لن أسمح بذلك أبدا، أبدا.. أيّها العاق!! خذيني إلى غرفتي. إني لمتعب حقّا..

(تقود الكرسي تجاه اليسار في صمت وانكسار)

الموجة الثامنة:

(تدخل فتاتان في لباس موحّد كأنّهما مضيفتان، يتقاسمان دفع طاولة ذات عجلات، وفوق الطاولة كرسيان. يتقدّمان بها نحو المنتصف، ينزلان الكرسيين من فوقها، ثم يخرجان.. تظهر الفتاة من اليسار، يصحبها رجل ذو حقيبة، يجلسان إلى الطاولة)

الرجل: (مخرجا أوراقا من حقيبته) آنستي، تعلمين أنّي رجل قانون. وإن كان الوضع يدعو للأسف فإنّ موضوعيّتي تتطلّب أن أكون صارما. لقد عجزتم عن تسديد ديونكم تجاه البنك.. ورغم أنّكم حرفاء مرموقي القدر، غير أنّ القانون هو القانون. وأنا مكلّف بتطبيقه وتطبيقه يفترض أن..

الفتاة: (مقاطعة) أتفهّم موقفك سيّدي.. لا داعي للاعتذار

رجل القانون: حسن مادمنا متفقان، أريد إعلامكم بفقدانكم كلّ حقّ لكم في هذا البيت "السرايا" والضيعة.. وصار من حقّ البنك أن يتصرّف فيها. وعليه فقد تقدّم عدد من الأثرياء لشراء هذه الممتلكات. وأهمّها عرض سيّد أعتقد أنّه سيحضر إلينا قريبا

الفتاة: هل لي أن أعرف هذا السيّد؟

رجل القانون: إنّه رجل أعمال أجنبيّ

الفتاة: أجنبيّ؟!

رجل القانون: ليس أجنبيّا على وجه التحديد.. إنّه ذو أصول عربية، عاش طيلة حياته بأوروبا، هو ابن لإحدى العائلات المهاجرة في الخمسينات. لكنّه يتكلّم العربية بطلاقة عجيبة كأنّما قد ولد هنا.. أمّا مرافقه فلا يعرف من لغتنا عدا بضع كلمات..

(يظهر الرجل الغريب ومرافقه)

رجل القانون: آه، ها قد أتى السيّد الذي عنيت. مستر فواز، أرحب بك

الرجل الغريب: شكرا لأجل ترحيبك.. المعذرة، هل لي أن أطلب منك الانصراف.

سنأتي إلى مكتبك لنتمّم الإجراءات..

رجل القانون: لا داعي للاعتذار، احتراماتي سيدي (يهمّ بالانصراف)

الرجل الغريب: شكرا لتفهمك

(يشير إلى معاونه فيرافق رجل القانون إلى الخارج)

الرجل الغريب: (مخاطبا الفتاة) آنستي أنت على ما يبدو ابنة ذلك العجوز. هل أنا محقّ؟

الفتاة: أجل سيدي محق تماما.

الرجل الغريب: جيّد. لأتكلّم إذن دون مقدّمات.. سوف نتمّم الإجراءات عمّا قريب، لكني أريد أن أعلمك أنّ وجودكم هنا لن يتأثّر بذلك

الفتاة: لا أفهمك سيّدي..

الرجل الغريب: أعني أنكم ببساطة لن تغادروا بل ستواصلون العيش هنا كأن شيئا لم يتمّ

الفتاة: إنّي لأشكر فضلك لكن..

الرجل الغريب: لا تقلقي بشأن هدر الكرامة. ففعلي حفظ لكرامتكم

الفتاة: فهل لي أن أعرف السبب

الرجل الغريب: ليس هناك من سبب سوى أنّي أريد لفعلي أن يكون إنسانيّا.. هل لنا أن نتمّم الإجراءات الآن؟

(الفتاة تومئ برأسها، يخرجان. تعود فتاتا اللباس الموحّد، يُخرجان الطاولة والكرسيين)

الموجة التاسعة:

(تظهر المرأة من الوسط تجرّ كرسيّ العجوز)

العجوز: أنظري إلى هذا الفراغ.. أين بالله عليك أيّامنا؟ ذهبت أم حلّت بها اللعنة!! حتى الرجل المعمّم بالسواد اختفى في ظروف غامضة كما تقول الصحف..

المرأة: يقولون إنّه قد سافر بعيدا أو لعلّه سُجن!

العجوز: لا يهمّ.. لا يهمّ.. ليذهب حيث يشاء، المهمّ أنّه أراحنا من السواد..

المرأة: على حدّ رأيك.. أراحنا من السواد كما تقول.. بل أراحنا من نفسه وترك علينا سواده..

العجوز: جولي إذن.. جولي لأدرك هذا الفراغ.. بل توقّفي!! إنّك لم تكنس منذ مدّة.. هل غيّرت عاداتك؟

المرأة: ألم تقل إنّ الكنس فال سيّء؟ من أجل ذلك تركته

العجوز: بل أكنسي ليذهب عنّا هذا الهمّ..

(المرأة تدفع الكرسيّ)

العجوز: انتحي بي ناحية اليمين..

(المرأة تدفع الكرسيّ ناحية اليمين، ثم يشير لها العجوز بالتوقف)

العجوز: أين الكرسيّ؟ كرسيّ أبائي.. أين الكرسيّ والمنضدة؟

المرأة: ربّاه! لكنّك طلبت إزاحتهما

العجوز: أنا؟ لماذا؟ ليعمّ الفراغ!! ألا تكفي دواخلنا!! هيا أعيديهما

(تنطلق إلى الباب الذي في الوسط حيرى)

العجوز: على الأقلّ أسترجع ماضي هذا الكرسيّ المجيد.. ترى ما يحدث في العالم الآن؟ منذ ذهب رجل السواد عنّا لم يحدّثني أحد عمّا يجري في العالم..

(تعود المرأة بالكرسيّ والمنضدة)

العجوز: آه! أحسنت جدّا.. ألف مرّة أحسنت. رتّبي مكانهما لعلّه ثمّة من سيحتاجهما..

(المرأة تضع المنضدة عن الكرسي، العجوز يمدّ يده ويمرّرها على الكرسيّ)

العجوز: يا لجماله وأناقته!! هل من الممكن مقاومة إغرائه؟

(يظهر الرجل الغريب ومرافقه والفتاة ابنة العجوز)

العجوز: (مخاطبا المرأة) لكن أنظري من الذي أتى.. إنّه ولدي قد عاد من جديد!!

الفتاة: (مخاطبة الرجل الغريب) لكنّك لم تقل هذا، أعلمتني أننا جميعا سنقيم هنا

الرجل الغريب: تطالبين بهذا كأنّه حقّ. أنا حرّ في أن أفتح بيتي لمن أشاء وأستغني عمّن أشاء

(ثم متقدّما نحو المرأة وموجّها الكلام نحوها) أنت.. هلّا حزمت أمتعتك.

ستغادرينا بغير رجعة. أنا المالك الجديد.. إنّي آمرك

الفتاة: هي عمتي، لا يمكن الاستغناء عنها

الرجل الغريب: هي بالنسبة لي مجرّد خادمة.. لا يعنيني أن تكون عمّتك

العجوز: ولدي.. ما هذا الجحود؟ هذه عمّتك

الرجل الغريب: الزم جنونك واصمت أيّها العجوز الخرف..

(المرأة تمضي مسرعة إلى الداخل)

العجوز: (محرّكا كرسيّه) أختاه! إلى أين تمضين يا أختاه؟ لا تتركيني وحدي..

لا تتركيني بين الغرباء..

(يتوقف في المنتصف، تسكن حركته ويحني رأسه.. تسرع ابنته نحوه، وتسمع صرخة من الكواليس، الفتاة تهرع إلى الداخل، تختفي لحظة، ثم تظهر باكية)

الفتاة: مات العجوز وانتحرت العمّة!!

(الرجل الغريب يرتمي على الكرسيّ ويضحك في عصبيّة.

بينما تتلاشى الإضاءة ببطء)

الموجة الصفر أيضا:

(نفس المنظر، الرجل الغريب جالس على الكرسيّ، تظهر الفتاة الشابة من الوسط بمكنسة العمّة)

الرجل الغريب: تعلمين يا أختاه أنّ فواز الضبع كان رجلا ثريّا جدّا.. لكنّ حظّه كان سيّئا

(الفتاة الشابة تواصل كنسها غير مبالية بحديثه)

الرجل الغريب: لقد تناثر أشلاءً في الهواء.. كنت أعيش على الكفاف يا أختاه، لكني كنت موفور الحظ مع ذلك.. وبحركة ذكاء..

الفتاة: المكان تعمّه الأوساخ.. إنّه لم يكنس منذ وقت طويل (تتوقف عن الكنس)

الرجل الغريب: انتحلت شخصية فواز الضبع، وأصبحت من أصحاب الملايين

الفتاة: أوف! نحتاج وقتا طويلا لننظّف المكان تنظيفا يليق به

الرجل الغريب: هل تراني يا أختاه قد عدت في الوقت المناسب؟

الفتاة: أعتقد أنّه وقت مناسب لتناول قهوة.. هل أعدّ قهوة؟

الرجل الغريب: على الأقل أدركت الأمور في آخر لحظة..

الفتاة: إذن أعدّ قهوة.. (تختفي من الباب الذي في الوسط)

الرجل الغريب: ما أبخس الحياة! لكني أعتقد أنّ على الإنسان التعلّق بحياته حتى النهاية.. أيّام الهجرة كانت عصيبة بدرجة قاسية. لكني أذكر أني كنت أنعم في تلك الأيام بالرضا.. ليس رضاءًا تامّا لكن لا بأس.. أمّا حياتي اليوم فيا للرتابة التي تسكنها..

(يظهر مساعده من اليمين)

المساعد: الأوضاع ليست على ما يرام

(صمت)

المساعد: الهدوء يجتاح العالم

الرجل الغريب: مالي والعالم

المساعد: باريس تجتاحها الرتابة

الرجل الغريب: مالي وباريس..

المساعد: برلين تجتاحها الرتابة

الرجل الغريب: ما دخلي ببرلين

المساعد: فيينا هي الأخرى تعاني الرتابة

الرجل الغريب: (كمن سمع خبرا مهما) فيينا؟!! (ثم لا مباليا) مالي وفيينا

المساعد: لكن واشنطن يعمّها المرح

الرجل الغريب: مالي وواشنطن.. أنا أيضا يغزوني المرح لولا هذه الرتابة المميتة..

(يتناول سيجارة بين يديه، تظهر الفتاة، تتقدم نحوه بصينية القهوة التي تضعها على المنضدة)

الفتاة: (عائدة إلى مكنستها) ألم أحذرك من السجائر؟ كم مرة حدثتك أنّها قاتلة؟ لماذا تدمّر نفسك؟

الرجل الغريب: أن أقتل نفسي خير من أن تقتلني الأحداث.. تلهي عني ودعيني لشأني يا أختاه.. آه! هذا أصعب من أن يُحتمل..

(يقف ويتقدم نحو الباب الذي في الوسط)

الفتاة: هل تريد شيئا؟

الرجل الغريب: لا، بل صلّ من أجلي يا أختاه.. صلّ فحسب لأنتهي في سلام..

(يختفي بينما تواصل الفتاة كنسها. تتلاشى الإضاءة ببطء..)

-انتهت-

2008-10-26

تأليف من أواخر جانفي إلى أواخر أكتوبر 2008